الفصل السابع عشر

الرحالة الغربيون والاكتشافات الأثرية في فلسطين والتمهيد للمشروع الصهيوني (1800–1914)

محمد مرقطن

تُعدّ كتب الرحالة الغربيين وتقارير الاكتشافات الأثرية التي خطّها روّاد علم الآثار والرحّالة والحُجّاج الغربيون عن المشرق العربي، خصوصًا فلسطين، والمليئة بقصص المغامرات، من أهم ما يقرأه أهل الغرب. وتُشكّل المادة التاريخية في كتب هؤلاء الرحالة، وإن كانت مليئة بالقَصص التوراتي، مصدرًا مهمًّا لدراسة تاريخ فلسطين في القرن التاسع عشر.

نهدف في ما يأتي إلى تقديم عرض موجز للمادة التاريخية التي تحتويها كتب الرحالة الخاصة بفلسطين، وأهميتها التاريخية والدوافع الحقيقية وراء جولات هؤلاء الرحالة وأهدافهم، وإيضاح الصورة التي رسمها هؤلاء لفلسطين. والدراسة المتواضعة هذه لا تشمل نشاطات الرحالة وكتاباتهم كافة، بل تكتفي بالتركيز على مجموعة مختارة من بداية القرن التاسع عشر إلى بداية الحرب العالمية الأولى. ثم تعرّج على مسألة العلاقة بين المعرفة العلمية والسلطة الاستعمارية، والدور الذي قامت به المعاهد التوراتية ومعاهد الآثار الغربية في فلسطين، ولا سيما الإنكليزية والألمانية والفرنسية والأميركية منها، وعلاقاتها العسكرية والمخابراتية بحكوماتها لخدمة أهدافها من استعمار فلسطين، وكذلك دورها في خدمة المشروع الصهيوني، والدور الأساسي الذي قامت به هذه المؤسسات في صناعة

«الرواية التاريخية الصهيونية»، وفي بناء «الشخصية اليهودية» وربطها بأرض فلسطين وإعطائها الشرعية التوراتية، وتمهيد الطريق للحركة الصهيونية، مع إعطاء أمثلة لدور صندوق اكتشاف فلسطين البريطاني والمعهد الألماني لدراسة فلسطين وغيرهما، إضافة إلى استعراض بعض المفاهيم الخاصة بما يسمى علم الآثار التوراتية ودوره في التأسيس للأساطير المؤسسة للدولة العبرية، ومحاولة إعطائها الشرعية الدولية. هذا كله في سياق استعراض ثلاثة محاور: الرحالة الغربيون والمشروعات الاستعمارية للسيطرة على فلسطين في القرن التاسع عشر؛ معاهد الآثار الغربية في فلسطين ودورها في خدمة المشروع الصهيوني؛ الرحالة وعلماء الآثار الغربيون وإسهاماتهم في اختلاق الرواية التاريخية الصهيونية.

أولًا: الرحالة الغربيون والمشروعات الاستعمارية للسيطرة على فلسطين في القرن التاسع عشر

«ثُمَّ كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: أَرْسِلْ رِجَالًا لِيَتَجَسَّسُوا أَرْضَ كَنْعَانَ الَّتِي أَنَا مُعْطِيهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ» (سفر العدد 13: 1-2)، «فَأَرْسَلَهُمْ مُوسَى لِيَتَجَسَّسُوا أَرْضَ كَنْعَانَ، وَقَالَ لَهُمُ: اصْعَدُوا مِنْ هُنَا إِلَى الْجَنُوبِ وَاطْلَعُوا إِلَى الْجَبَلِ، وَانْظُرُوا الأَرْضَ، مَا هِيَ: وَالشَّعْبَ السَّاكِنَ فِيهَا، أَقَوِيٌّ هُوَ أَمْ ضَعِيفٌ؟ قَلِيلٌ أَمْ كَثِيرٌ؟ وَكَيْفَ هِيَ الأَرْضُ الَّتِي هُوَ سَاكِنٌ فِيهَا، أَجَيِّدَةٌ أَمْ رَدِيئَةٌ؟ وَمَا هِيَ الْمُدُنُ الَّتِي هُوَ سَاكِنٌ فِيهَا، أَمُخَيَّمَاتٌ أَمْ حُصُونٌ؟ وَكَيْفَ هِيَ الأَرْضُ، أَسَمِينَةٌ أَمْ هَزِيلَةٌ؟ أَفِيهَا شَجَرٌ أَمْ لاَ؟ وَتَشَدَّدُوا فَخُذُوا مِنْ ثَمَرِ الأَرْضِ» (سفر العدد 13: 17-20).

لعل هذه المقولة التوراتية كانت دائمًا في ذهنية الحجاج والرحالة وعلماء الآثار والصهيونيين من بعدهم، في التعامل مع فلسطين، فتحكمت عبر التاريخ بعقليتهم ورحلاتهم الاستكشافية ومحاولات احتلال فلسطين والسيطرة عليها[1]. وكانت فلسطين قد أصبحت قِبلة لرحلات استكشافية منذ بداية القرن التاسع عشر، والهدف كان دينيًا بامتياز. وتركّزت بحوث الغربيين في تلك الفترة على

(1) Jennifer Speake (ed.), *Literature of Travel and Exploration: An Encyclopedia* (New York; London: Routledge, 2003), pp. 942-946.

بيئة الارض المقدسة وجغرافيتها ونشأة المسيحية. وتجدر الإشارة إلى أن العلاقة الروحية بين أوروبا وفلسطين بعد الحروب الصليبية لم تنقطع قط؛ فبالإضافة إلى الحجاج الذين استمر توافدهم على فلسطين، كان هنالك كثير من الرحالة وعلماء الكتاب المقدس الذين كانوا يُظهرون التباكي على ضياع الأرض المقدسة وسقوطها في أيدي «الكفرة المسلمين».

تُعتبر فترة القرن التاسع عشر في تاريخ فلسطين مرحلة فاصلة في التاريخ الفلسطيني الحديث؛ فالتطورات الاقتصادية والاجتماعية خلالها، خصوصًا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وضعت فلسطين على مفترق طرق[2].

كانت حملة نابليون على فلسطين في عام 1799، وهي الحملة التي لم تترك أثرًا مهمًّا في تاريخ البلاد، قد أدخلت هذه الأخيرةَ إلى دائرة الصراع الدولي وأحيت الحلم الأوروبي بإعادة السيطرة على فلسطين، وأثارت لدى الدول الكبرى مزيدًا من اهتمام بالأرض المقدسة، وبالتحديد لدى بريطانيا والنمسا وفرنسا وروسيا التي كانت القوى المهتمة بالسيطرة على فلسطين حتى أواسط القرن التاسع عشر، ثم تبعتها ألمانيا، التي أصبحت قبيل الحرب العالمية الأولى من القوى الفاعلة في فلسطين نتيجة تحالفها مع الدولة العثمانية[3].

لعل فترة الحكم المصري في فلسطين بعد أن احتلها محمد علي في عام 1831 بقيادة ابنه إبراهيم باشا، وأُبقيت تحت السيطرة المصرية حتى عام 1840،

---

(2) ألكزاندر شولش، **تحولات جذرية في فلسطين 1856–1882: دراسات حول التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي**، ترجمة كامل العسلي (عمان: الجامعة الأردنية، 1988)؛ عادل مناع، **تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700–1918: قراءة جديدة**، ط 2 (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2003)؛ بشارة دوماني، **إعادة اكتشاف فلسطين: أهالي جبل نابلس 1700–1900** (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2002)؛ وجيه كوثراني، **بلاد الشام في مطلع القرن العشرين: السكان والاقتصاد وفلسطين والمشروع الصهيوني: قراءة في وثائق الدبلوماسية الفرنسية**، ط 3 (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013).

(3) Mario Liverani, «Imperialism,» in: Susan Pollock and Reinhard Bernbeck (eds.), *Archaeologies of the Middle East Critical Perspectives* (Oxford: Blackwell, 2005), pp. 223-243; Yehoshua Ben-Arieh, *The Rediscovery of the Holy Land in the Nineteenth Century* (Jerusalem: Magnes Press, 1979); John J. Moscrop, *Measuring Jerusalem: The Palestine Exploration Fund and British Interests in the Holy Land* (London: Leicester University Press, 2000).

فتحت الباب على مصراعيه للسيطرة والتغلغل الغربيين في فلسطين؛ إذ سمح محمد علي بأن تُفتح فيها قنصليات ومؤسسات تبشيرية غربية، فاتخذت الدول الغربية خطوات عملية للسيطرة على فلسطين، وأخذت بريطانيا منذ منتصف القرن التاسع عشر تدعي أنها تتولى حماية اليهود، بينما يحمي الفرنسيون الطوائف الكاثوليكية ويحمي الروس الأرثوذكس. وفي هذا الإطار، أُسست القنصلية البريطانية في عام 1838 في القدس التي أصبحت موطئ قدم للقوى الغربية في فلسطين، ولا سيما إبان استمرار السلطان العثماني في فتح البلاد للغرب، خصوصًا بعد أن ساعدته بريطانيا والنمسا في طرد محمد علي من فلسطين في عام 1840، فسمح بفتح مزيد من القنصليات الغربية في القدس (قنصلية بروسية في عام 1842 وقنصلية فرنسية في عام 1843)، وكانت علاقات قد أُقيمت بين الولايات المتحدة والدولة العثمانية، ودُشنت القنصلية الأميركية في القدس في عام 1832 لتيسِّر توافد حجاج وعلماء آثار وباحثين أميركيين على فلسطين، وكان لها دور كبير في التمهيد للاستيطان الصهيوني[4]. كما جرى تدشين المطرانية البروتستانتية البريطانية – الألمانية في عام 1840[5].

ازدادت الحركات التبشيرية وزيارات الحجاج منذ بداية القرن التاسع عشر[6]. وفي عام 1826 جاء إلى فلسطين المبشر البروتستانتي الدنماركي هانس نيكوليسين (1803–1856)، وأسس في عام 1849 بالقرب من باب الخليل (بوابة يافا) في القدس الكنيسةَ الإنجيلية البريطانية، وهي أقدم كنيسة بروتستانتية

(4) بشأن دور القناصل الغربيين، وخصوصًا القناصل الأميركيين، في دعوة الاستيطان الصهيوني، يُنظر: Ruth Kark, *American Consuls in the Holy Land* 1832-1914 (Jerusalem: Magness, 1994), pp. 221-242; Hilton Obenzinger, «Americans in the Holy Land, Israel, and Palestine,» in: Alfred Bendixen and Judith Hamera (eds.), *The Cambridge Companion to American Travel Writing* (Cambridge: Cambridge University Press, 2009), pp. 145-164.

(5) شولش، ص 59–92؛ مايكل برير، **الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني: أميركا اللاتينية، جنوب أفريقيا، فلسطين**، ترجمة أحمد الجمل وزياد منى، ط 2 (دمشق: قَدْمُس للنشر والتوزيع، 2004)، ص 180–181.

(6) Stephanie S. Rogers, *Inventing the Holy Land: American Protestant Pilgrimage to Palestine* 1865-1941 (Lanham MD: Lexington Books, 2011); Eitan Bar-Yosef, *The Holy Land in English Culture 1799-1917: Palestine and the Question of Orientalism* (Oxford: Oxford University Press, 2005); Alex Carmel, *Christen als Pioniere im Heiligen Land* (Basel: Friedrich Reinhardt Verlag, 1981).

في الشرق الأوسط وتُعرف بكنيسة المسيح[7]. ومنذ أواسط القرن التاسع عشر، بدأت مجموعات ألمانية تتسرب إلى فلسطين؛ فبالإضافة إلى جمعية الهيكل، قامت الكنيسة البروتستانتية بتأسيس دار الأيتام السورية في القدس تحت إشراف المبشر يوهان لودفيغ شنيللر (1820–1896).

كان لحرب القرم التي نشبت بين الإمبراطورية الروسية والدولة العثمانية (1853–1856) بسبب الأطماع الإقليمية الروسية على حساب الدولة العثمانية، وانتهت بهزيمة الروس وتوقيع معاهدة الصلح في باريس عام 1856، الأثر الكبير في فلسطين. وكان للدعم الذي قدمه الفرنسيون والإنكليز إلى العثمانيين دور أساسي في هزيمة الروس، فاحتفل العثمانيون بالانتصار واحتفلت معهم القنصليات الغربية في القدس وأحكمت سيطرتها على الأوضاع ومسار الأمور في فلسطين[8].

هنا بدأت تعلو في العواصم الأوروبية الأصوات المطالِبة بالسيطرة على فلسطين بشكل أقوى ممّا مضى، واشتدت الصراعات من أجل تأمين الامتيازات الدينية والثقافية، وهو ما نجد له صدى واضحًا في تقارير الرحالة الأوروبيين وتصريحات وكُتب بعض السياسيين الذين بدأوا يطالبون بشكل واضح بتحويل فلسطين إلى مستعمرة أوروبية، ومنهم من طرح فكرة «الحروب الصليبية السلمية» أو «الحملة الصليبية السلمية»، أو طرح مبدأ «الألفية المسيحية» (Millenarianism). ويعتقد كثير من الصهيونيين، ومنهم أتباع المسيحية – الصهيونية، أن طرد محمد علي من فلسطين كان فرصة ذهبية لإعادة احتلال فلسطين و«سيطرة الدول المسيحية على فلسطين»[9].

من المعروف أن ثيودور هيرتسل (1860–1904) لم يكن أول من نادى باستيطان اليهود في فلسطين، لكن هو من اتّخذ الخطوات العملية والتطبيقية من أجل استعمار فلسطين. ويُعتبر الاتحاد الإسرائيلي العالمي (Alliance Israélite Universelle) الذي أُسس في باريس عام 1860، واتّخذ من العاصمة الفرنسية مقرًا له بهدف

---

(7) Alex Carmel and Ejal J. Eisler, *Der Kaiser reist ins Heilige Land: Die Palästinareise Wilhelms II. 1898* (Stuttgart: Kohlhammer, 1999), pp. 12-13.

(8) شولش، ص 309–311؛ Rogers, pp. 96-101

(9) شولش، ص 84.

مساعدة اليهود، أولَ منظمة يهودية تهدف إلى دعم الاستيطان اليهودي في فلسطين بشكل عملي، وكان له دور أساسي في تهجير اليهود المغاربة إلى فلسطين[10].

كانت الحركة الصهيونية، التي جاءت في عام 1897 متأخرة نسبيًا عن الحركات الأوروبية الأخرى، تُشكل إحدى تلك الحركات التي تتصارع على استعمار فلسطين. ولعل تحالفها لاحقًا مع الحركة الاستعمارية البريطانية وفّر لها الفوز على الحركات الأخرى والنجاح في استعمار فلسطين بالحصول على صك وعد بلفور في 2 تشرين الثاني/ نوفمبر 1917 وعلى رعاية الانتداب البريطاني وتأسيس دولة إسرائيل في عام 1948[11]. وأدت المسيحية – اليهودية دورًا مهمًّا في التمهيد لهذا الوعد، وكان لها دور أساسي لدى الرحالة وعلماء الآثار منذ القرن التاسع عشر[12]. وكان اللورد بالمرستون (1784–1865)، الذي أصبح في وقت لاحق رئيسًا لوزراء بريطانيا، قد طالب في عام 1841 بتحويل فلسطين إلى تابعة لبريطانيا[13].

لعل من أهم الرحالة الفرنسيين هو الشاعر الفرنسي ألفونس دو لامارتين (1790–1869) الذي قام برحلة إلى فلسطين وسوريا خلال الفترة 1832–1833، ونشر وقائعها في كتابه **رحلة إلى الشرق** (*Voyage en Orient*) في عام 1835[14]. ومن الرحالة الأميركيين الذين كان لهم دور كبير في رسم صورة فلسطين في أميركا[15] الرحالة والقصصي مارك توين (1835–1910)[16].

---

(10) *Encyclopedia Judaica*, 2nd ed., 22 vols. (New York: Macmillan Reference USA, 2006), vol. 1, pp. 671-675.

(11) إلياس شوفاني، **الموجز في تاريخ فلسطين السياسي: منذ فجر التاريخ حتى سنة 1949** (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1996)، ص 297–306؛ شولش، ص 59–66.

(12) Bar-Yosef, pp. 183-184.

(13) John James Moscrop, The Palestine Exploration Fund: 1865-1914. Ph. D. Dissertation, The University of Leicester, Leicester, 1996, pp. 163-201; Carmel and Eisler, p. 16.

(14) Alphonse de Lamartine, *Voyage en Orient 1832-1833* (Paris: C. Gosselin 1843).

نشر في طبعات كثيرة، يُنظر أيضًا: ألفونس دو لامارتين، **مختارات من كتاب رحلة إلى الشرق**، ترجمة جمال شحيد وماري طوق (الكويت: مؤسسة البابطين، 2006).

(15) Speake, pp. 1208-1210; Obenzinger, pp. 145-164.

(16) Mark Twain, *The Innocents Abroad, or the New Pilgrims Progress* (Hartford, Conn.: American Publishing Co., 1870); Klaus Polkehn, *Damals im Heiligen Land: Reisen in das alte Palästina* (Berlin: Kai Homlius Verlag, 2005), p. 80; Rogers, pp. 24-95.

منذ منتصف القرن التاسع عشر ازدادت في أوروبا المشروعات والحركات السياسية الهادفة إلى استعمار فلسطين[17]، ويظهر ذلك في ما أعلنه كثير من المفكرين والكتاب والقادة الغربيين، بمن فيهم اليهود في منظمة أحباء صهيون التي انتشرت في شرق أوروبا، خصوصًا في روسيا ورومانيا. ومن تلك المشروعات الخطة التي قدمها البريطاني الثري ورجل الأعمال والرحالة موزس مونتيفيوري (1784-1885) لجلب مهاجرين يهود أوروبيين إلى فلسطين وإسكانهم فيها، إذ إنه موَّل بناء أول حي استيطاني يهودي خارج أسوار القدس في عام 1860، وهو الحي المعروف بـ «مشكنوت شأنانيم»، وذلك بعد قيامه مع زوجته يوديت بزيارة فلسطين في سبع رحلات[18]. ويوصف الرحالة اليهودي يهايل ميشائيل فاينس (1824-1913) بأنه أول رحالة صهيوني حقيقي درس طبيعة أرض فلسطين والأماكن الملائمة لتأسيس مستعمرات[19]. وتجدر الإشارة إلى اليهودي الألماني موشيه هيس (1812-1875) الذي دعا في كتابه **روما والقدس** (*Rom und Jerusalem*) في عام 1862 إلى جعل القدس يهودية مثلما هي روما إيطالية[20].

وفي ما يخص البحث العلمي، بدأ النشاط الأوروبي في فلسطين يتخذ منذ منتصف القرن التاسع عشر طابعًا مؤسساتيًا، وذلك بتأسيس مراكز بحثية في فلسطين[21]، وتبعت ذلك مجموعة من المراكز الأوروبية لاستكشاف فلسطين ودرسها، مع إنشاء فروع لها في القدس، معتمدة على التوراة والقصص التوراتي باعتبارهما «حقيقة ربانية مطلقة»، ولا بد من البحث عنها ورؤيتها على الأرض[22].

(17) Polkehn.

(18) Moshe Davis, *America and the Holy Land: With Eyes Toward Zion*-4 (Westport: Praeger, 1995), pp. 111-132; Speake, pp. 808-810; Obenzinger, pp. 145-164.

(19) *Encyclopedia Judaica*, vol. 14, p. 457, vol. 20, p. 118.

(20) Ibid., vol. 9, p. 75.

(21) Neil A. Silberman, «Desolation and Restoration: The Impact of a Biblical Concept on Near Eastern Archaeology,» *Biblical Archaeologist,* no. 54 (1991), pp. 76-78; Carmel, pp. 15-22; Markus Kirchhoff, *Text zu Land-Palästina im wissenschaftlichen Diskurs 1865-1920,* Schriften des Simon-Dubnow-Instituts; Bd. 5 (Göttingen: Vandenhoeck und Ruprecht, 2005), pp. 143-250.

(22) Abdul Latif Tibawi, *British Interests in Palestine 1800-1901: A Study of Religious and Educational Enterprise* (Oxford: Oxford University Press, 1961), pp. 183-205; Silberman, pp. 76-87.

ثانيًا: معاهد الآثار الغربية في فلسطين ودورها في خدمة المشروع الصهيوني

نعرض في ما يأتي ملخصًا يتعلق بمعاهد الآثار الغربية في فلسطين وبدورها في استكشاف فلسطين والتمهيد للمشروع الصهيوني:

• **المعاهد البريطانية**: أول هذه المعاهد هو «جمعية فلسطين» (The Palestine Association)، التي أُسست في لندن عام 1805، وكانت تسمى أيضًا «الجمعية السورية» (The Syrian Society)، وكان الهدف منها تنظيم البحث العلمي وتشجيعه واكتشاف بلاد الكتاب المقدس ومواقعه القديمة[23]. أمّا أهم المعاهد العلمية، فهو صندوق اكتشاف فلسطين، الذي أوضح السير جورج غروف (1820–1900) أهداف تأسيسه بالقول: «هذا البلد، فلسطين، هو لكم ولي، هو حقيقة لنا»[24].

استخدمت بريطانيا، كمثيلاتها من الدول الاستعمارية الأخرى، علم الآثار لأهداف استعمارية[25]؛ إذ كان غرضها من تأسيس الصندوق المشار إليه برهنة مضمون الكتاب المقدس أثريًا، ففي 12 أيار/ مايو 1865 أُعلن في قصر وستمنستر، وتحت مظلة الملكة فيكتوريا، تأسيس هذا الصندوق، في محاولة جادّة لإعادة اكتشاف أرض فلسطين ودراستها[26].

---

(23) Ruth Kark and Haim Goren, «Pioneering British Exploration and Scriptural Geography: The Syrian Society/The Palestine Association,» *The Geographical Journal: Royal Geographical Society*, vol. 177, no. 3 (2011), pp. 264-274.

عُزي ذلك إلى عدم توافر الأمن في فلسطين في تلك الفترة، وحُلَّت الجمعية في ما بعد، وأُلحقت بالجمعية الجغرافية الملكية (Royal Geographical Society) التي أُسست في عام 1830.

(24) يُنظر بشأن حياة السير جورج غروف صفحة صندوق اكتشاف فلسطين، في:

http://www.pef.org.uk/profiles/sir-george-grove

وكذلك: Moscrop, *The Palestine Exploration Fund,* pp. 35-62; Markus Kirchhoff, «This Country is Essentially Ours,» Der Palestine Exploration Fund und die Palästinaforschung des 19. Jahrhunderts,» in: Charlotte Trümpler (ed.), *Das grosse Spiel: Archäologie und Politik zur Zeit des Kolonialismus (1860-1940),* Begleitbuch zur Ausstellung, Ruhr Museum Essen, 11. Februar-13. Juni 2010 (Köln: DuMont, 2008), pp. 94-103.

(25) Charlotte Trümpler (ed.), *Das grosse Spiel: Archäologie und Politik zur Zeit des Kolonialismus (1860-1940)*. Begleitbuch zur Ausstellung, Ruhr Museum Essen, 11. Februar-13. Juni 2010 (Köln: DuMont, 2010).

(26) Moscrop, *The Palestine Exploration Fund;* Thomas W. Davis, *Shifting Sands: The Rise and* =

وضعت هذه الجمعية الأسس والبنية التحتية لتحقيق الأهداف البريطانية من استعمار فلسطين[27]، وكان معظم أعضاء إدارة الصندوق من سلاح الهندسة الملكي، وعدد قليل من علماء الآثار الذين كان أغلبهم ذا خلفية عسكرية. وظهر في دراسة متكاملة وضعها الباحث البريطاني جون جيمس موسكروب بشأن الصندوق وعلاقته بالمخابرات العسكرية البريطانية ودوره في استعمار فلسطين، الدور المخابراتي والعسكري الذي أداه[28]، على الرغم من أنه كان معهدًا مستقلًا في بداية الأمر، إذ أُتبع لاحقًا (1865-1886)، وبشكل رسمي، لدائرة المخابرات البريطانية في مكتب الحرب البريطاني[29].

أُقيمت جمعية الآثار التوراتية (Society of Biblical Archaeology) في لندن عام 1870، وأُدخل في عضويتها دارسو الشرق القديم، وكان من أهدافها دراسة الآثار وإخراج الآثار الخاصة بالكتاب المقدس من «الآثار السامية»[30]، وبدأت لهذا الغرض تنشر مجلات خاصة بها[31].

• **المركز الفرنسي لدراسة الكتاب المقدّس والآثار في القدس**: ابتدأ النشاط الأثري الفرنسي في فلسطين مع حملة نابليون بونابرت[32]؛ إذ قام بيير جاكوتين، أحد الضباط المرافقين لنابليون في حملته على فلسطين عام 1799، برسم خريطة لفلسطين بمقاس 1:100. وكان اهتمام الفرنسيين بفلسطين قد بدأ بشكل جدّي بعد بسط حاكم مصر حكمه عليها في الفترة 1832-1840، فأخذوا يعملون للسيطرة على بلاد الشام، واستغلوا حوادث لبنان في عام 1860 وأرسلوا إلى لبنان المستشرق المتعصب وعالِم اللغات السامية إرنست رينان (1823-1892)، الذي سبق له أن قام بأول حفريات أثرية فيه، وبالذات في جبيل (بيبلوس)، كما

Fall of Biblical Archaeology (Oxford: Oxford University Press, 2005). pp. 12-16; Kirchhoff, «This Country is Essentially Ours» Der Palestine Exploration Fund, pp. 94-103. =

(27) خيرية قاسمية، «نشاطات صندوق اكتشاف فلسطين 1865-1915»، **شؤون فلسطينية**، العدد 104 (تموز/ يوليو 1980)، ص 71-100.

(28) Moscrop, *The Palestine Exploration Fund.*

(29) Ibid., p. 8.

(30) Davis, *Shifting Sands,* pp. 18-20.

(31) *Proceedings of the Society of Biblical Archaeology,* Transactions of the Society of Biblical Archaeology.

(32) Nicole Chevalier, *La Recherche archéologique française au Moyen-Orient 1842-1947,* Préface de Jean Louis Huot (Paris: Editions recherche sur les civilisations, 2002).

أنهم أرسلوا الدبلوماسي وعالِم الآثار شارل كليرموجانو (1846-1923) إلى القنصلية الفرنسية في القدس بصفة مترجم، فكان له نشاط وتحريات أثرية جمع في خلالها قطعًا أثرية وأرسلها إلى متحف اللوفر، ثم نشر تحرياته الأثرية التي قام بها في عامي 1873 و1874[33].

كانت القنصلية الفرنسية في القدس، شأنها شأن الممثليات الغربية الأخرى، قد تورطت في دعم الحركات الاستيطانية اليهودية في فلسطين[34]، ولكن النشاط الفرنسي تحول في أواخر القرن التاسع إلى مؤسسات عاملة في فلسطين[35]. وأسس الآباء الدومينيكان الفرنسيون في عام 1890 معهدهم الخاص بهم تحت اسم مركز الكتاب المقدّس (École Biblique) أو المركز الفرنسي لدراسة الكتاب المقدّس والآثار في القدس (École biblique et archéologique française de Jérusalem)، وأصدروا منذ عام 1892 مجلة علمية خاصة بذلك المعهد سُميت *Revue Biblique*، تتناول أعماله العلمية في فلسطين والبلدان المجاورة[36].

• **المعاهد الألمانية لدراسة فلسطين**: بدأ الألمان منذ بداية القرن التاسع عشر الاهتمام بإعادة اكتشاف فلسطين ودرسها من الناحيتين التاريخية والجغرافية[37]. وأهم المعاهد العلمية التي أسسوها المعهد الألماني لدراسة فلسطين (DPV)، الذي يُصدر منذ عام 1878 مجلته الخاصة (*Zeitschrift des DeutschenPalästina-Vereins* ZDPV)، إضافة إلى دراسات متخصصة أخرى[38].

---

(33) Charles Clermont-Ganneau, *Archaeological Researches in Palestine During the Years 1873-1874*, vol. 2 (London: Committee of the Palestine Exploration Fund, 1896).

(34) كوثراني، ص 247-255.

(35) Chevalier, *La Recherche archéologique française au Moyen-Orient*.

(36) Benedict T. Viviano, «École biblique et archéologique française de Jérusalem,» *Biblical Arachaeologist,* vol. 54, no. 3 (1991), pp. 160-167*;*

يُنظر صفحة المركز في: http://www.ebaf.edu/en/

(37) Ulrich Hübner (ed.), *Palaestina exploranda. Studien zur Erforschung Palästinas im 19. und 20. Jahrhundert anlässlich des 125jährigen Bestehens des Deutschen Vereins zur Erforschung Palästinas,* Abhandlungen Des Deutschen Palästina-Vereins; 34 (Wiesbaden: Harrassowitz, 2006).

وكذلك: Haim Goren,*»Zieht hin und erforscht das Land«: Die deutsche Palästinaforschung im 19. Jahrhundert* (Göttingen: Wallstein Verlag, 2003).

(38) Ulrich Hübner, «Der Deutsche Verein zur Erforschung Palästina: Seine Vorgeschichte, Gründung und Entwicklung bis in die Weimarer Zeit,» in: Hübner, *Palaestina exploranda,* pp. 1-52.

في 11 تشرين الأول/أكتوبر 1898 قام القيصر الألماني فيلهلم الثاني (1859–1941)، وهو آخر القياصرة الألمان، بزيارة الشرق العربي، مرورًا باسطنبول، التي التقى فيها السلطانَ العثماني عبد الحميد الثاني (1876–1909)، وتوّج جولته، التي استمرت حتى 26 تشرين الثاني/نوفمبر 1898، بزيارة القدس[39]. وأهم ما يمكن أن يقال عن رحلته تلك هو أنها رحلة استعراضية هدفت، إضافة إلى الدعم المعنوي للسلطان عبد الحميد، إلى تحويل علم الآثار إلى سلعة اقتصادية، وبالفعل أخذت معاهد الآثار الألمانية في المشرق العربي تقوم بدور اقتصادي، كما فعل ماكس أوبنهايم الذي أجرى حفريات أثرية في تل حلف وأسس سكة حديد برلين – بغداد، وراح الألمان يزودون متاحفهم بقطع أثرية من الشرق، ومنها هدية السلطان عبد الحميد إلى القيصر، وهي واجهة قصر المشتى الأموي الموجودة الآن في متحف بيرغامون في برلين[40].

تجدر الإشارة إلى أن الألمان أسسوا في عام 1898 الجمعية الألمانية الشرقية (Deutsche Orient-Gesellschaft) في برلين، وذلك في سياق زيارة القيصر فيلهلم الثاني لفلسطين ومنافستهم الفرنسيين والإنكليز في مجال البحث الأركيولوجي في المشرق العربي[41]. كما أن الكنيسة اللوثرية الألمانية أسهمت بدورها، وبشكل فاعل، في دراسة فلسطين من النواحي التاريخية واللغوية والدينية والأثرية، وأسست في القدس معهدًا لدراسة الأراضي المقدسة أسمته المعهد الإنجيلي لدراسة الأرض المقدسة في العصور القديمة (Altertumswissenschaft des Heiligen Landes)، ويُختصر بـ DEI. وفي عام 1975، أسس فرعًا له في عمّان. وتولى عالِم اللاهوت والمستشرق غوستاف دالمان منصب أول مدير لهذا المعهد في القدس من عام 1902 إلى عام 1917، وأسس مجلة سنوية خاصة بفلسطين

(39) Ulrich Hübner, «Zeitvertreib: Die Reise Wilhelms II. in das Heilige Land als Gesellschaftsspiel,» in: Jens Kotjatko-Reeb [et al.] (eds.), *Nichts Neues unter der Sonne? Zeitvorstellungen im Alten Testament. Festschrift für E.-J. Waschke zum 65 Geburtstag,* Beihefte zur Zeitschrift für die alttestamentliche Wissenschaft; 450 (Berlin; New York: De Gruyter, 2014), pp. 351-370; Carmel and Eisler.

(40) Hübner, «Zeitvertreib: Die Reise Wilhelms II. in das Heilige Land als Gesellschaftsspiel,» pp. 351-370.

(41) Ibid., pp. 351-370.

سماها *Palästina-Jahrbuch* **(الكتاب السنوي الفلسطيني)**، واستمرت المجلة تلك في الصدور من عام 1905 إلى عام 1926[42].

• **المدارس الأميركية للبحوث الشرقية:** كانت المؤسسة الأميركية الأولى لدراسة فلسطين قبل تأسيس المدارس الأميركية للبحوث الشرقية هي الجمعية الأميركية لدراسة فلسطين (American Palestine Exploration Society) التي أُسست في عام 1870 واستمرت حتى عام 1878. وتختلف هذه الجمعية عن صندوق اكتشاف فلسطين البريطاني، الذي كان شعاره «إيضاح الكتاب المقدس»، في أنها متعصبة دينيًا وصاحبة شعار «الدفاع عن الكتاب المقدس»، حتى أنها أجرت مسحًا في شرق الأردن[43].

الجدير بالاهتمام أن الحجاج والمبشِّرين الأميركيين في فلسطين ألّفوا كتبًا خاصة، فيها وصف مفصّل للزوار والحجاج وللقرى والطرق الفلسطينية، ومزوَّدة برسومات تتعلق بالحياة اليومية الفلسطينية[44]، ومنها ما جاء بشكل دليل سياحي بامتياز، مثل كتاب المبشِّر الأميركي وليام تومبسون **الأرض والكتاب** (*The Land and the Book*)[45]، الذي كان الأكثر شعبية بين كتب المبشرين في القرن التاسع عشر، وظل حتى نهاية ذلك القرن جزءًا أساسيًا من مادة التدريس في أنحاء مختلفة من العالم[46].

---

(42) Herbert Donner, *Das Deutsche Evangelische Institut für Altertumswissenschaft des Heiligen Landes* (Wiesbaden: Harrassowitz, 1963).

يُنظر صفحة هذا المعهد في: http://www.deiahl.de/startseite.html

(43) Felicity J. Cobbing, «The American Palestine Exploration Society and the Survey of Eastern Palestine,» *Palestine Exploration Quarterly*, vol. 137, no. 1 (April 2005), pp. 9-21; Davis, *Shifting Sands*, pp. 16-18.

(44) Davis, *America and the Holy Land*, pp. 165-181.

(45) William Thomson, *The Land and the Book: Southern Palestine and Jerusalem or, Biblical Illustrations Drawn from the Manners and Customs, the Scenes and Scenery, of the Holy Land* (New York: Harper & brothers, 1880), p. 185.

يُنظر أيضًا، الطبعة الأولى من هذا الكتاب في: سليمان موسى، **رحلات في الأردن وفلسطين** (عمان: منشورات دائرة الثقافة والفنون، 1987)، ص 109-167.

(46) Obenzinger, pp. 145-164, 150.

وفي عام 1900 قامت الولايات المتحدة بتأسيس منظومة المدارس تلك للبحث العلمي والآثاري في الشرق القديم، وما زالت تشرف على الأعمال الأميركية الآثارية في المشرق العربي، ومنها الآن معهد أولبرايت في القدس(47)، وتصدر مجموعة من مجلات الآثار المتخصصة، وسلسلة من الكتب وتقارير الحفريات، ولعل من أهمها (*Bulletin of the American Schools of Oriental Research* BASOR)(48).

• **جمعية فلسطين الروسية:** أسس الروس في عام 1882 جمعية علمية لدراسة فلسطين في بطرسبرغ وسمّوها جمعية فلسطين القيصرية الأرثوذكسية. وبعد ثورة 1917 حُول اسمها إلى جمعية فلسطين الروسية، ورُبطت بأكاديمية العلوم الروسية. وهي تصدر مجلة *Pravoslavnyj Palestinskij Sbornik*(49).

• **المعاهد الصهيونية لدراسة فلسطين:** هذه إشارة إلى المؤسسات التي أسستها الحركة الصهيونية للاهتمام بالآثار، والتي ما زالت قائمة. ففي عام 1910 أسست الحركة في برلين جمعية لاستكشاف فلسطين سمتها جمعية دراسة فلسطين (Gesellschaft für Palästina-Forschung)(50). وأسست في عام 1914 الجمعية اليهودية لاكتشاف فلسطين (Jewish Palestine Exploration Society) في القدس، لكنها توقفت عن العمل في أثناء الحرب العالمية الأولى، ثم أعيد تأسيسها في عام 1920 لتحمل اسم Israel Exploration Society، واستمرت بعد تأسيس دولة إسرائيل عام 1948، وما زالت تشرف على أعمال النشاط الأثرية الصهيونية(51).

---

(47) يُنظر صفحة المدارس الأميركية للبحوث الشرقية في: http://www.asor.org/ وكذلك صفحة معهد أُولبرايت في: http://www.aiar.org

(48) Neil A. Silberman, «A Century of American Archaeology in the Middle East: Looking Back and Looking Ahead,» in: Douglas R. Clark and Victor Harold Matthews, *One Hundred Years of American Archaeology in the Middle East: Proceedings of the American Schools of Oriental Research centennial celebration* (Washington, DC: American Schools of Oriental Research, 2003), pp. 7-17; Davis, *Shifting Sands*, pp. 40-94.

(49) Derek Hopwood, *The Russian Presence in Syria and Palestine 1843-1914: Church and Politics in the Near East* (Oxford: Clarendon Press, 1969); Kirchhoff, *Text zu Land-Palästina im wissenschaftlichen Diskurs*, pp. 186-191.

(50) Kirchhoff, «This Country is Essentially Ours,» Der Palestine Exploration Fund, p. 101.

(51) Kirchhoff, *Text zu Land-Palästina im wissenschaftlichen Diskurs*, pp. 352-357.

ثالثًا: الرحالة وعلماء الآثار الغربيون وإسهاماتهم في اختلاق الرواية التاريخية الصهيونية

استقطبت فلسطين، بحكم مكانتها الدينية، مجموعةً ضخمة من الرحالة والباحثين الأوروبيين في القرن التاسع عشر، وهُم الذين جاؤوا بدوافع دينية توراتية بالدرجة الأولى[52]، وتطور أمر دراسة فلسطين تحت باب الاستشراق[53]. وكان الرحالة يتشكّلون تقليديًا من الحجاج[54]، ثم تطور الأمر إلى المستكشفين ثم الباحثين. وكان الهدف الأساسي في هذه الفترة استعماريًا بامتياز، ولكننا نجد أحيانًا بعض الرحالة الذين جاؤوا لأسباب سياحية، وإن ارتبط بعضها بالدوافع الدينية والعلمية والاقتصادية.

كان اهتمام الحجاج الأساسي ينصبّ على الأماكن المقدسة في فلسطين، فلم يكن يهمهم شيء في ما يتعلق بأرض فلسطين أو بمن فيها، وكانوا يركزون على الأماكن التي يستطيعون تحديدها أو أماكن يتصورن أنها مذكورة في الكتاب المقدس[55].

وترك لنا الرحالة عشرات الكتب والتقارير التي تتسم بالطبيعة الاستشراقية، راسمين صورة لفلسطين تلائم الذهنية الأوروبية، والغربية عمومًا، بحيث أصبحت في وقت لاحق مادة دسمة للحركة الصهيونية[56]، فتفاوتت بين صورة الحزن على الأرض المقدسة التي يسكنها أقوام بدائيون، بحسب رأيهم، والصورة المتخيلة والرومانسية والأسطورية المرسومة في أذهانهم تحت تأثير نصوص الكتاب المقدس[57]، فوصف برنارد لانغ، وهو أحد علماء الإثنولوجيا الألمان الباحثين

---

(52) Silberman, «Desolation and Restoration,» pp. 76-87; Polkehn.

(53) إدوارد سعيد، **الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق**، ترجمة محمد عناني (القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، 2006)؛ Bar-Yosef.

(54) Speake, pp. 942-946.

(55) Obenzinger, pp. 145-164.

(56) Bar-Yosef, pp. 182-246.

(57) Liverani, pp. 223-243; Polkehn;

يُنظر الفصل الثاني في كتاب: Eveline van der Steen, *Near Eastern Tribal Societies During the Nineteenth Century: Economy, Society and Politics Between Tent and Town* (London; New York: Routledge, 2013). «Travellers in the Levant in the Nineteenth Century,» pp. 18-37.

والرحالة في فلسطين بأنهم خدموا كجواسيس للدول الغربية الاستعمارية، وكانوا ذراع تلك الدول لتحقيق أهدافها الاستعمارية[58].

ارتبط علم الآثار منذ تأسيسه في أوروبا في القرن التاسع عشر بأجندات قومية، وبإعادة صوغ الروايات التاريخية بناءً على المصادر التاريخية أو الأثرية القديمة، وهي التي غالبًا ما تتعرض للتلاعب من أجل دعم أغراض سياسية وتحقيقها وتثبيت حدود سياسية[59]، وهو ما فعلته الدول الاستعمارية لتحقيق أهداف خاصة بها في آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية[60].

يُعتبر ما يسمّى علم الآثار التوراتية من أهم الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل التي ما زالت تستخدم «الرواية التاريخية التوراتية» وتُدعِّمها بصيغة «رواية الآثار التوراتية» لكي تعزز سلطتها على الأرض وتعطيها شرعية الوجود[61]. وجرى التأسيس للرواية التاريخية التوراتية ورواية الآثار التوراتية بفعل ما قام به رحالة وروّاد علم «الآثار التوراتية» في القرن التاسع عشر، ثم تكوين ذلك في عهد الانتداب البريطاني في فلسطين، وتحويلها إلى مؤسسة أيديولوجية تزعمها جنرالات عدة، مثل يِغال يادين وموشيه دايان[62]. ويمكن تلخيص المفاهيم المؤسسة للحركة الصهيونية والمستمدة من كتب الرحالة والآثاريين التوراتيين بالآتي:

---

(58) Bernhard Lang B. «Spione im Gelobten Land: Ethnologen als Leser des Alten Testaments,» in: Ernst W. Müller [at al.] (eds.) «Ethnologie als Sozialwissenschaft,» *Kölner Zeitschrift für Soziologie und Sozialpsychologie*, Sonderheft; 26 (Opladen: Westdeutscher Verlag, 1984), pp. 158-177.

(59) Liverani, pp. 223-243; Philip Kohl, Maria Kozelsky and Nachman Ben-Yehuda (eds.), *Selective Remembrances: Archaeology in the Construction, Commemoration, and Consecration of National Pasts* (Chicago: Chicago University Press, 2008).

(60) برير، **الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني**.

(61) Nadia Abu el-Haj, *Facts on the Ground: Archaeological Practice and Territorial Self-Fashioning in Israeli Society* (Chicago: The University of Chicago Press, 2002), pp. 45-72; Ingrid Hjelm and Thomas L. Thompson (eds.), *History, Archaeology and the Bible Forty Years after 'Historicity': Changing Perspectives 6* (New York; London: Routledge, 2016).

(62) محمد مرقطن، «الحضارات القديمة في البلدان العربية ومسألة تكوين الهوية التاريخية لأمة العرب»، في: **التأريخ العربي وتاريخ العرب: كيف كُتب وكيف يُكتب؟ الإجابات الممكنة**، تحرير وجيه كوثراني (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017)، ص 151-158.

1- نبوءة العهد القديم من الكتاب المقدس والآثار التوراتية

كانت فلسطين عبر تاريخها الطويل تمثّل للعالم الغربي وذاكرته الجماعية نموذجًا أساسيًا لذاكرة المكان؛ فهي بالنسبة إليهم «الأرض المقدسة» وكذلك «أرض الميعاد»، وهي في ذاكرتهم أرض المسيح وأرض الرب وأنبياء التوراة، وهي أرض اليهود. ويدور معظم كتب الرحالة والحجاج ورواد علم الآثار في فلسطين حول مسألة القَصص التوراتي. وفي البُعد السياسي، كان الهم الأساسي لتلك الكتب إعادة استرجاع الأسطورة وإعادة إحياء «دولة داوود وسليمان»[63]. وثمة تلخيص لتاريخ أدب الرحالة وعلم الآثار قدّمه مؤسس علم الآثار التوراتية العالِم الأميركي وليام فوكسويل أولبرايت[64] في مقالة بعنوان «*Israel-Prophetic Vision and Historical Fulfillment*»، وفيه أن ولادة إسرائيل تحقيق لرؤيا نبوية، وأن ذلك كان بجهد المسيحيين واليهود معًا لإعادة اليهود إلى فلسطين، وأن المستوطنين الصهيونيين نماذج ومحاكاة لأنبياء العهد القديم[65]. وتتجلى قمة صناعة الرواية التاريخية الصهيونية في استخدام الاكتشافات الأثرية في إعادة إحياء الأسطورة لشرعية الدولة العبرية في كثير من الحفريات الأثرية في فلسطين[66]، وفي تفسير اللقى الأثرية كافة بناءً على القَصص التوراتي الذي يفتقد الشواهد العلمية[67].

2- الأرض الخراب والخالية من السكان

تعامل الرحالة الغربيون وعلماء الآثار مع فلسطين، ولا سيما في القرن التاسع عشر، بوصفها أرضًا مكتشَفة، أي غير محددة الملْكية أو غير مملوكة

(63) Speake, pp. 942-946; Thomas L. Thompson, *The Mythic Past: Biblical Archaeology and the Myth of Israel* (New York: Basic Books, 2000), pp. 82-104; Kozelsky Kohl and Ben-Yehuda, *Selective Remembrances;* Hjelm and Thompson, *History, Archaeology and the Bible;* Diaz-Andreu, *A World History of Nineteenth-Century Archaeology*, pp. 131-166.

(64) Davis, *America and the Holy Land*, pp. 69-72.

(65) William F. Albright, «Israel-Prophetic Vision and Historical Fulfilment,» in: Moshe Davis (ed.), *Israel: its Role in Civilization* (New York: Seminary Israel Institute, 1956), pp. 31-38.

(66) كيث وايتلم، **اختلاق إسرائيل القديمة. إسكات التاريخ الفلسطيني**، ترجمة سحر الهنيدي، عالم المعرفة؛ 249 (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1999)؛ برير.

(67) إسرائيل فنكلشتاين ونيل سيلبرمان، **التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها: رؤية جديدة لإسرائيل القديمة وأصول نصوصها المقدسة على ضوء اكتشاف علم الآثار**، ترجمة سعد رستم (دمشق: صفحات للدراسات والنشر، 2001).

(Terra Incognita)، والأرض المكتشفة هي في شريعة العالم الاستعماري لمن يكتشفها، ويرتبط بها مفهوم الأرض المباحة (terra nullius) باعتبارها أرضًا خالية، وهي بالتالي ممتلكات مباحة (Res nullius)[68]. وكثير من الرحالة الغربيين وصفوا فلسطين في تقاريرهم بأنها بلاد «على حافة الموت، على حافة الانهيار»، «بائدة، بائسة»[69]، أو «البلد في حالة خراب، إذا ما نظرت إلى الخارج»، بحسب وصف الرحالة والكاتب الأميركي هيرمان هيلفيل، الذي يضيف في يومياته عن القدس أن «القمامة في كل مكان، وتتكوم أمام بوابة يافا»[70].

3- الخريطة الذهنية الغربية المتخيلة لفلسطين وأسطورة طوبوغرافيا الأرض المقدسة

عبثت كتب الرحالة وعلماء الآثار الغربيين في القرن التاسع عشر بالخريطة الذهنية الغربية المتخيلة لفلسطين حين رسموها وثبتوها في الأذهان كما أرادوها وكما اعتمدتها الصهيونية، وهي ما زالت على هذا النحو في الذهنية الغربية نموذجًا استشراقيًا بامتياز، يتمثّل في فكرة الذاتية الغربية كما تراد ويحَسّ بها لا كما هي على حقيقتها، ويضع تصورًا مُشوَّها لواقع فلسطين. ولا تخفى أهمية الخريطة الذهنية من منطلق أنها تدخل في إطار الجغرافيا السلوكية، وتعتمد على السلوك المكاني للناس من خلال التصورات الذاتية[71].

4- الأرض المكتشَفة والأرض المباحة ومقولة «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض»

إن مقولة «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض» هي من أشهر الشعارات الدعاوية

(68) Marcelo Svirsky, «The Production of Terra Nullius and the Zionist-Palestinian Conflict,» in: Simone Bignall and Paul Patton (eds.), *Deleuze and the Postcolonial* (Edinburgh: Edinburgh University Press, 2010), pp. 220-250.

(69) Silberman, «Desolation and Restoration,» pp. 76-87.

(70) Davis, *America and the Holy Land*, p. 21.

(71) Thompson, *The Mythic Past;* Hjelm and Thompson, *History, Archaeology and the Bible;* Dov Gavis*, A Survey of Palestine under the British Mandate 1920-1948* (New York; London: Routledge, 2010); Haim Goren, Jutta Faehndrich and Bruno Schelhaas, *Mapping the Holy Land: The Foundation of a Scientific Cartography of Palestine* (London; New York: Tauris, 2017); Map of Palestine, Department of Lands and Surveys, 145 sheet, at: http://zochrot.org/en/article/56409; Palestine: Department of Lands and Surveys (Jaffa: Survey of Palestine, 1928-1947), at: http://zochrot.org/en/article/56372

الصهيونية عبر تاريخها، وكان أول من استخدمها، على ما يبدو، هو المبشر والرحالة ألكسندر كيث (1792–1880)[72] الذي قام برحلة إلى فلسطين في عام 1839، ونقلها المسيحيون – الصهيونيون عنه باعتبار أنها تسرّع ظهور المسيح، ونشروها في العالم الغربي منذ القرن التاسع عشر. كما استخدمها غربيون آخرون في مؤلفاتهم، ومنهم اللورد شافتسبري[73] والرحالة الصهيوني – المسيحي وليام يوجين بلاكستون[74]. ويبدو أن الصهيونية اعتمدتها بعد أن استخدمها أحد منظّري الصهيونية، الكاتب البريطاني إزرايِل زانغويل[75]. ومن هذا المنطلق بالذات، طرح مونتيفيوري وروتشيلد في سبعينيات القرن التاسع عشر مسألة شراء فلسطين[76].

5– الأرض المقدسة وشعب الله المختار

إن مصطلح «الأرض المقدسة» هو بحد ذاته مصطلح استعماري[77]، يراد به أن الأرض المقدسة بحاجة إلى شعب يختاره الله لكي يعمرها، وهو مخترَع بحسب قول كيث وايتلم في معرض نقده القصص التوراتي في كتابه **اختلاق إسرائيل القديمة**[78]، وبالضبط كما هو مصطلح «إيرتس يسرائيل»، وبهذا اكتملت الصورة[79] وجرى التمهيد لاختراع إسرائيل الحديثة[80]، ويدخل هذا في إطار اختراع الأوطان المتخيلة في زمن الاستعمار[81].

---

(72) Alexander Keith, *The Land of Israel According to the Covenant with Abraham, with Isaac, and with Jacob* (Edinburgh: William Whyte and Co., 1843), p. 43.

(73) Davis, *America and the Holy Land*, p. 114.

(74) Ibid., pp. 64-66.

(75) Diana Muir, «A Land without a People for a People without a Land,» *Middle East Quarterly* (Spring 2008), pp. 55-62; Davis, *America and the Holy Land*, p. 57.

(76) Rogers, p. 69.

(77) Ibid.

(78) وايتلَم.

(79) شلومو ساند، **اختراع «أرض إسرائيل»**، ترجمة أنطوان شلحت وأسعد زعبي (رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية مدار؛ عمان: الدار الأهلية، 2014).

(80) شلومو ساند، **اختراع الشعب اليهودي**، ترجمة سعيد عياش (رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية مدار؛ عمان: الدار الأهلية، 2011).

(81) عن الجماعات المتخيلة زمن الاستعمار، يُنظر: بندكت أندرسن، **الجماعات المُتخيّلة: تأملات في أصل القومية وانتشارها**، ترجمة ثائر ديب (بيروت: دار قدمس، 2009)، ص 125–142.

6- «أهل فلسطين ليس لهم علاقة بتاريخ فلسطين القديم ولا بأرضها»

هذه مقولة من مقولات علم الآثار الاستعماري بامتياز؛ فالبلاد التي يستعمرها الغربيون هي لهم بحكم أن سكانها ليس لهم علاقة بتاريخها القديم، ولا رابطة أو صلة بينهما، وأهلها أو سكانها الحاليون غرباء وطارئون، وبالتالي ليسوا هم الورثة الشرعيين لها[82].

7- مشروع «إعادة اليهود» إلى فلسطين

من أشهر الحركات المسيحية التي دعت إلى إعادة اليهود إلى فلسطين في القرن التاسع عشر كانت حركة ميلليناريانيزم (Millenarianism، أي «الألفية»)، وهي حركة تعتقد بأن المسيح سيرجع إلى عالمنا ليحكم العالم كملك لمدة ألف عام، وتدعو إلى إعادة اليهود إلى فلسطين وتوطينهم فيها[83].

كان لكثير من الرحالة وعلماء الآثار واللاهوت الغربيين، ولا سيما من طائفة الأرثوذكس البروتستانت، دور مهم في تطوير مشروع الحركة الصهيونية الاستيطاني وتثبيته في فلسطين وإعطائه الشرعية الدينية، من خلال مشروع المسيحية - الصهيونية المسمّى «إعادة اليهود» (The Restoration of the Jews)، أي الدعم المسيحي لعودة اليهود إلى فلسطين لتأسيس دولة يهودية في فلسطين وإعادة بعث «إسرائيل»، وهي فكرة كانت راسخة عند «المؤمنين المسيحيين» قبل فترة طويلة من عام 1830[84]. وما زال أولئك يقومون بدور مهم بين علماء الآثار التوراتية والمفكرين الغربيين، ولا سيما في العلم الأنكلو - ساكسوني[85].

---

(82) مرقطن، ص 147-193.

(83) Kark, pp. 23-24.

(84) عن المسيحية - الصهيونية، يُنظر: Thomas Ice, «Lovers of Zion: A History of Christian Zionism», http://www.pre-trib.org/data/pdf/Ice-LoversofZionAHistory.pdf, at: 26/08/2010.

(85) بشأن الرحالة المسيحيين - الصهيونيين الأميركيين، يُنظر:
Moshe Davis, *America and the Holy Land,* pp. 63-83; Obenzinger, pp. 145-164.

المراجع

1- العربية

أندرسن، بندكت. **الجماعات المُتخيّلة: تأملات في أصل القومية وانتشارها**. ترجمة ثائر ديب. بيروت: دار قدمس، 2009.

برير، مايكل. **الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني: أميركا اللاتينية، جنوب أفريقيا، فلسطين**. ترجمة أحمد الجمل وزياد منى. ط 2. دمشق: قَدْمُس للنشر والتوزيع، 2004.

دوماني، بشارة. **إعادة اكتشاف فلسطين: أهالي جبل نابلس 1700-1900**. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2002.

ساند، شلومو. **اختراع «أرض إسرائيل»**. ترجمة أنطوان شلحت وأسعد زعبي. رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية مدار؛ عمان: الدار الأهلية، 2014.

______. **اختراع الشعب اليهودي**. ترجمة سعيد عياش. رام الله: المركز الفلسطيني

للدراسات الإسرائيلية مدار؛ عمان: الدار الأهلية، 2011.

سعيد، إدوارد. **الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق**. ترجمة محمد عناني. القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، 2006.

شوفاني، إلياس. **الموجز في تاريخ فلسطين السياسي: منذ فجر التاريخ حتى سنة 1949**. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1996.

شولش، ألكزاندر. **تحولات جذرية فى فلسطين 1856-1882: دراسات حول التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي**. ترجمة كامل العسلي. عمان: الجامعة الاردنية، 1988.

قاسمية، خيرية. «نشاطات صندوق اكتشاف فلسطين 1865-1915». **شؤون فلسطينية**. العدد 104 (تموز/ يوليو 1980).

فنكلشتاين، إسرائيل ونيل سيلبرمان. **التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها: رؤية جديدة لإسرائيل القديمة وأصول نصوصها المقدسة على ضوء اكتشاف علم الآثار**. ترجمة سعد رستم. دمشق: صفحات للدراسات والنشر،2001.

كوثراني، وجيه. **بلاد الشام في مطلع القرن العشرين: السكان والاقتصاد وفلسطين والمشروع الصهيوني: قراءة في وثائق الدبلوماسية الفرنسية**. ط 3. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013.

لامارتين، ألفونس دو. **مختارات من كتاب رحلة إلى الشرق**. ترجمة جمال شحيد وماري طوق. الكويت: مؤسسة البابطين، 2006.

مرقطن، محمد. «الحضارات القديمة في البلدان العربية ومسألة تكوين الهوية التاريخية لأمة العرب». في: **التأريخ العربي وتاريخ العرب: كيف كُتب وكيف يُكتب؟ الإجابات الممكنة**. مجموعة مؤلفين. تحرير وجيه كوثراني. الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017.

مناع، عادل. **تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700–1918: قراءة جديدة**. ط 2. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2003.

موسى، سليمان. **رحلات في الأردن وفلسطين**. عمان: منشورات دائرة الثقافة والفنون، 1987.

وايتلم، كيث. **اختلاق إسرائيل القديمة: إسكات التاريخ الفلسطيني**. ترجمة سحر الهنيدي. عالم المعرفة؛ 249. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1999.

2 – الأجنبية

Abu el-Haj, Nadia. *Facts on the Ground: Archaeological Practice and Territorial Self-*

Fashioning in Israeli Society. Chicago: The University of Chicago Press, 2002.

Bar-Yosef, Eitan. *The Holy Land in English Culture 1799-1917: Palestine and the Question of Orientalism*. Oxford: Oxford University Press, 2005.

Ben-Arieh, Yehoshua. *The Rediscovery of the Holy Land in the Nineteenth Century*.

Jerusalem: Magnes Press, 1979.

Bendixen, Alfred and Judith Hamera (eds.). *The Cambridge Companion to American Travel Writing.* Cambridge: Cambridge University Press, 2009.

Bignall, Simone and Paul Patton (eds.). *Deleuze and the Postcolonial.* Edinburgh: Edinburgh University Press, 2010.

Carmel, Alex. *Christen als Pioniere im Heiligen Land.* Basel: Friedrich Reinhardt Verlag, 1981.

_______ and Ejal J. Eisler. *Der Kaiser Reist ins Heilige Land: Die Palästinareise Wilhelms II. 1898.* Stuttgart: Kohlhammer, 1999.

Chevalier, Nicole. *La Recherche archéologique française au Moyen-Orient 1842-1947.* Préface de Jean Louis Huot. Paris: Editions recherche sur les civilisations, 2002.

Clark, Douglas R. and Victor H. Matthews (eds.). *One Hundred Years of American Archaeology in the Middle East: Proceedings of the American Schools of Oriental Research Centennial Celebration.* Washington, DC: American Schools of Oriental Research, 2003.

Clermont-Ganneau, Charles. *Archaeological Researches in Palestine During the Years 1873-1874*. vol. 2. London: Committee of the Palestine Exploration Fund, 1896.

Cobbing, Felicity J. «The American Palestine Exploration Society and the Survey of Eastern Palestine.» *Palestine Exploration Quarterly*. vol. 137. no. 1 (April 2005).

Davis, Moshe. *America and the Holy Land: With Eyes Toward Zion*-4. Westport: Praeger, 1995.

_______ (ed.). *Israel: Its role in Civilization.* New York: Seminary Israel Institute, 1956.

Davis, Thomas W. *Shifting Sands: The Rise and Fall of Biblical Archaeology.* Oxford: Oxford University Press, 2005.

Diaz-Andreu, Margarita (ed.). *A World History of Nineteenth-Century Archaeology: Nationalism, Colonialism, and the Past*. Oxford Studies in the History of Archaeology Periodical. Oxford: Oxford University Press, 2008.

Donner, Herbert. *Das Deutsche Evangelische Institut für Altertumswissenschaft des Heiligen Landes.* Wiesbaden: Harrassowitz, 1963.

Gavis, Dov. *A Survey of Palestine under the British Mandate 1920-1948.* New York; London: Routledge, 2010.

Goren, Haim. Jutta Faehndrich and Bruno Schelhaas. *Mapping the Holy Land: The Foundation of a Scientific Cartography of Palestine.* London; New York: Tauris, 2017.

_______. *«Zieht hin und erforscht das Land«: Die deutsche Palästinaforschung im 19. Jahrhundert.* Göttingen: Wallstein Verlag, 2003.

Hjelm, Ingrid and Thomas L. Thompson (eds.). *History, Archaeology and the Bible Forty Years after 'Historicity': Changing Perspectives* 6. New York; London: Routledge, 2016.

Hopwood, Derek. *The Russian Presence in Syria and Palestine 1843-1914: Church and Politics in the Near East.* Oxford: Clarendon Press, 1969.

Hübner, Ulrich (ed.). *Palaestina exploranda. Studien zur Erforschung Palästinas im 19. und 20. Jahrhundert anläßlich des 125 jährigen Bestehens des Deutschen Vereins zur Erforschung Palästinas.* Abhandlungen des Deutschen Palästina-Vereins; 34. Wiesbaden: Harrassowitz, 2006.

Ice, Thomas. «Lovers of Zion: A History of Christian Zionism.» at: https://www.pre-trib.org/pretribfiles/pdfs/Ice-LoversofZionAHistoryOfChristianZionism.pdf

Kark, Ruth. *American Consuls in the Holy Land 1832-1914*. Jersusalem: Magness, 1994.

_______ and Haim Goren. «Pioneering British exploration and scriptural geography: The Syrian Society/The Palestine Association.» *The Geographical Journal: Royal Geographical Society*, vol. 177. no. 3 (2011).

Keith, Alexander. *The Land of Israel According to the Covenant with Abraham, with Isaac, and with Jacob.* Edinburgh: William Whyte and Co., 1843.

Kirchhoff, Markus. *Text zu Land-Palästina im wissenschaftlichen Diskurs 1865-1920.*

Schriften des Simon-Dubnow-Instituts; Bd. 5. Göttingen: Vandenhoeck und Ruprecht, 2005.

Kohl, Philip L. Maria Kozelsky and Nachman Ben-Yehuda (eds.). *Selective Remembrances: Archaeology in the Construction, Commemoration and Consecration of National Pasts.* Chicago: Chicago University Press, 2008.

Kotjatko-Reeb, Jens [et al.] (eds.). *Nichts Neues unter der Sonne? Zeitvorstellungen im Alten Testament. Festschrift für E.-J. Waschke zum 65. Geburtstag.* Beihefte zur Zeitschrift für die alttestamentliche Wissenschaft; 450. Berlin; New York: De Gruyter, 2014.

Lamartine, Alphonse de. *Voyage en Orient 1832-1833.* Paris: C. Gosselin 1843.

Map of Palestine: Department of Lands and Surveys, 145 sheets, at: http://zochrot.org/en/article/56409.

Moscrop, John James. *Measuring Jerusalem: The Palestine Exploration Fund and British Interests in the Holy Land.* London: Leicester University Press, 2000.

_______. The Palestine Exploration Fund: 1865-1914. Ph. D. Dissertation. The University of Leicester. Leicester, 1996

Muir, Diana. «A Land without a People for a People without a Land.» *Middle East Quarterly* (Spring 2008).

________. The Palestine Exploration Fund: 1865-1914. Ph. D. Dissertation. The University of Leicester. Leicester, 1996.

Müller, Ernst W. [at al.] (eds.) «Ethnologie als Sozialwissenschaft.» *Kölner Zeitschrift für Soziologie und Sozialpsychologie*, Sonderheft; 26. Opladen: Westdeutscher Verlag, 1984.

Palestine: Department of Lands and Surveys. Jaffa: Survey of Palestine, 1928-1947, at: http://zochrot.org/en/article/56372.

Polkehn, Klaus. *Damals im Heiligen Land: Reisen in das alte Palästina.* Berlin: Kai Homlius Verlag, 2005.

Pollock, Susan and Reinhard Bernbeck (eds.). *Archaeologies of the Middle East Critical Perspectives.* Oxford: Blackwell, 2005.

Rogers, Stephanie S. *Inventing the Holy Land: American Protestant Pilgrimage to Palestine* 1865-1941. Lanham MD: Lexington Books, 2011.

Silberman, Neil A. «Desolation and Restoration: The Impact of a Biblical Concept on Near Eastern Archaeology.» *Biblical Archaeologist.* no. 54 (1991).

Speake, Jennifer (ed.). *Literature of Travel and Exploration: An Encyclopedia*. New York; London: Routledge, 2003.

Thompson, Thomas L. *The Mythic Past: Biblical Archaeology and the Myth of Israel.* New York: Basic Books, 2000.

Thomson, William. *The Land and the Book: Southern Palestine and Jerusalem or, Biblical Illustrations Drawn from the Manners and Customs, the Scenes and Scenery, of the Holy Land*. New York: Harper & brothers, 1880.

Tibawi, Abdul Latif. *British Interests in Palestine 1800-1901: A Study of Religious and Educational Enterprise.* Oxford: Oxford University Press, 1961.

Trümpler, Charlotte (ed.). *Das grosse Spiel: Archäologie und Politik zur Zeit des Kolonialismus (1860-1940).* Begleitbuch zur Ausstellung, Ruhr Museum Essen, 11. Februar - 13. Juni 2010. Köln: Du Mont, 2010.

Twain, Mark, *The Innocents Abroad, or the New Pilgrims Progress*. Hartford, Conn.: American Publishing Co., 1870.

Van der Steen, Eveline. *Near Eastern Tribal Societies During the Nineteenth Century: Economy, Society and Politics Between Tent and Town.* London; New York: Routledge, 2013.

Viviano, Benedict T. «École biblique et archéologique française de Jérusalem.» *Biblical Arachaeologist.* vol. 54. no. 3 (1991).